الأدبيات السوسيولوجية المهتمة بالحراك الاجتماعي

تقديم:

إن أغلب الأدبيات التي عالجت موضوع الحراك الاجتماعي،منطلقها كانت الرؤى الخلدونية وما تبعها من تأويلات أوروبية بالخصوص الفلسفة الماركسية، وما زامنها من تحليلات نسبت إلى كل من الوضعية والتطورية:

أولا: الخلدونية والحراك الاجتماعي والمهني:

يعتبر ابن خلدون من الدارسين للحراك الاجتماعي،وكانت انطلاقته من مسلمة مفادها الاجتماع الإنساني ضروري ،ويرى أن أهم ما يميز الاجتماع الإنساني أنه لا يتجمد إلى حال من الأحوال؛ بل تختلف أوضاعه باختلاف الأمم والشعوب، وباختلاف الزمان داخل المجتمع الواحد، ويقر أن أحوال العالم والأمم وعوائدها لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر،إنما هي اختلاف على مر الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال [1].

إذ عالج ابن خلدون الحراك الاجتماعي في إطار مسألتي": الحراك والثبات" وذلك بواسطة جدلية البدو والحضر،إذ يحتاج البدو إلى المدن نظرا لتطور تقسيم العمل فيها وكثرة المهن واختلافها. وكان حذرا في تعميم مقولة الحراك الاجتماعي،بل رأى النقيض تماما لبعض الفئات، فهو يؤكد أن القائمين بأمور الدين تعظم ثروتهم في الغالب،وذلك للاحتياج المؤقت لبضاعتهم الفكرية،وكذا لأنهم لا يخضعون لمؤشر الجاه الذي ذكر في السابق كعامل من عوامل الحراك.

وتبدو وسعة أفق تفكير ابن خلدون في معالجة بعض المؤشرات الاقتصادية مثلا الرخص في الأسعار يؤثر على فئات اجتماعية معينة،بل يسبب حراكا تنازليا لها فهو يؤثر على الجند لأن أرزاقهم تأتي من الدولة؛ وحينما ترخص أسعار الزرع تقل الجباية منه لفساد الحالة الاجتماعية للمحترفين، وهذا المنطلق يدل على عمق فكر ابن خلدون في العلاقة بين البدو والحضر. كما تناول ابن خلدون فكرة أساسية في الحراك الاجتماعي ألا وهي مؤشر الثروة؛ وهذا المؤشر لم يتناوله حتى المنظرون في الحراك الاجتماعي،بقوله: " إن ثروة السلطان وحاشيته إنما تكون في وسط الدولة"، أي أن الثروة تتجه اتجاه انحنائيا؛ فكلما تقوت الدولة كثرت الثروة، لكن حين يصيب الدولة الاضمحلال تقل الثروة وتبرز الاضطرابات.

ثانيا: الماركسية والحراك الاجتماعي والمهني:

استهل ماركس وانجلز البيان الشيوعي بالمقولة:" إن الحراك الاجتماعي في تاريخ المجتمعات إلى يومنا هذا تاريخ صراع الطبقات".كما يضيفان أنه على مر العصور هناك: أحرارا وعبيد أي سائدين ومسودين".

كما أكد ماركس أن البناء الاقتصادي تظهر فيه مجموعة من العلاقات الاجتماعية داخل عمليات الإنتاج، وتشكل هذه العلاقات بناء طبقيا ينقسم فيه المجتمع إلى طبقتين متمايزتين، الطبقة الأولى قوية تمتلك وسائل الإنتاج، وأطلق عليها اسم – الطبقة البرجوازية- والطبقة الثانية ضعيفة لا تمتلك إلا سواعدها أطلق عليها اسم البروليتاريا، ويرى أن هذا التنظيم يسود المجتمعات الرأسمالية.

كما أولى كل من ماركس وانجلز التناقض بين المدينة والريف، لأنه يساهم في تغيير البنيات الاجتماعية ويساهم في الحراك الاجتماعي الريفي،بل إن التاريخ الاقتصادي والحضاري للمجتمع بأسره يرتبط بهذا الانقسام بين الحضر والريف، حيث يقول كارل ماركس: " إن تقسيم العمل المادي والذهني، هو انقسام المدينة عن الريف، والتعارض بين المدينة والريف يظهر الانتقال من الهمجية إلى الحضارة،من التنظيم القبلي إلى الدولة ويستمر عبر تاريخ الحضارة كله.

ويضيف **أنجلز** أن التوزيع المنظم للسكان والتوثيق العقلاني بين الإنتاج الزراعي والصناعي وما ينجم عن ذلك من إتباع المواصلات كل هاته الأمور تساعد على حل التناقضات الحادة بين الريف والمدينة،لكن هذا الحل يشترط حل المسألة الاجتماعية؛وذلك بإلغاء النظام البرجوازي الذي يساهم في إقامة الفوارق بين سكان الريف وسكان المدينة،وإلغاء المساكن المترفة التي تخص الطبقات الصالحة؛لأنها منبع حراك قوي يصعد الهوة بين الطبقات المالكة والطبقات المحرومة.

ونتيجة لذلك تزداد طبقة العمال بؤسا وتتضخم هذه الأوضاع مع ازدياد قوة القهر الاقتصادي بين الأفراد، واتجاه هذه الأوضاع يحدد رد فعل العمال نحو الطبقة البرجوازية، ولقد كان رد الفعل هذا في البداية عنيفا؛ حيث تمثل في شكل تحطيم وسائل الإنتاج، ثم بعد ذلك لجأ العمال إلى طرق أكثر دبلوماسية بانضمامهم إلى جمعيات وروابط تعاونية وأخيرا وفي أقصى مراحل وعيهم يلجؤن إلى الثورة الشاملة لتحطيم النظام الرأسمالي ليحل محله النظام الاشتراكي، في ضوء هذا التفسير المادي تؤدي ظاهرة الحراك المهني إلى الانفصال الأول للعمل الصناعي والتجاري عن العمل الزراعي، وهذا الانفصال يؤدي بالتالي إلى انفصال المدينة عن القرية –الريف- وتتعارض الاهتمامات فيما بينهما وفي المدى البعيد ينفصل العامل التجاري عن العامل الصناعي، وهذا ما تدور حوله التفسيرات الماركسية لظاهرة الصراع بين المهن وما ينتج عنها من مظاهر الاغتراب في المجتمع الصناعي.

ثالثا: الوضعية والحراك الاجتماعي والمهني:

يرتبط مفهوم الحراك عند " **أوجيست كونت** " بمفهوم التقدم، بكل ما يشكله من تسارع في التطور الاجتماعي، وتحديد التقسيم الخاص بالعمل في إطار مجموع العمل البشري، أي التغير الاجتماعي الذي طرأ على البيئة الاجتماعية ؛ ولا يمكن أن نعزل الحراك الاجتماعي عن التغير الاجتماعي وأثره على البيئة الاجتماعية.

رابعا: التطورية والحراك الاجتماعي والمهني:

يركز " هربرت سبنسر"على نمطين من المجتمعات، المجتمع الصناعي والمجتمع العسكري، حيث يرتبط هذا النمطان بالآثار الخطيرة للحراك الاجتماعي.

فالنمط الأول: يقع ضمن ما يسمى كيفية صيانة المجتمع داخليا، والتعاون فيه اختياري، وغاية التنظيم الاجتماعي فيه تهدف إلى الزيادة في الإنتاج وتوفير الرفاهية الاقتصادية للمواطنين، وهذا يسمى بالحراك الاقتصادي، وأيضا الاعتراف بالحقوق الشخصية في المجتمع وهو ما يسمى بالحراك الاعتباري، وظهور تنظيمات طوعية حرة تسعى لتحسين الظروف المادية والمعنوية للأفراد وهو ما يسمى بالحراك الاجتماعي المفتوح.

أما النمط الثاني: يقع في إطار نفس النظام، أي الحماية من الأخطار التي كان يتعرض لها المجتمع من الخارج والتعاون الإجباري، ووجود سلطة مركزية ومستويات عليا للضبط الاجتماعي، فالقائد العسكري هو الذي يتمتع بقوة مسيطرة على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية يخضع فيها الأدنى للأعلى خضوعا تاما وهنا تجسيد للحراك الاجتماعي النازل ومحدودية الحراك الصاعد.

خامسا: الفيبيرية والحراك الاجتماعي والمهني:

تحدث فيبر عن مظهرين اجتماعيين يجسدان الحراك الاجتماعي في المجتمعات،ألا وهما القوة والهيمنة، فالأول يعني وجود الانتصار داخل العلاقات الاجتماعية والإدارة الخاصة في مواجهة التحديات- السياسية، الاقتصادية، الدينية،والمنزلية و البيداغوجية- والثاني يعبر عن وجود خط للعثور على الأشخاص المطيعين للأمر، ذوي مستوى محدد؛ فالهيمنة تتأسس على العلاقة بين القيادة والطاعة، وقد تتعلق بإرادة شخص خارج عن كل تجمع أو جهاز إداري.

... بالتوفيق مع المحاضرة القادمة ...